المستوى الدلالي في كتاب سيبويه

.....

د. مي فاضل جاسم الجبوري

كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى – مكة المكرمة

البريد الألكتروني: may_fadhal@hotmail.com

الملخص

يهتم هذا البحث بالإشارة إلى مواضع اعتناء سيبويه بالدلالة. وقد حاولنا تأصيل الأفكار اللغوية في الجانب الدلالي أي التي ظهرت حديثا فوجدنا أغلبها مطروقا في الكتاب. وهدف بحثنا هذا هو تعريف المتلقي بدراسة سيبويه للغة العربية واستخراجه كثيرا من كنوزها وانتباهه إلى ظواهرها الدقيقة بطريقته في موضوعات عرفها علم الدلالة الحديث في عصرنا.

الكلمات المفتاحية: كتاب سيبويه، المستوى الدلالي، علم الدلالة الحديث.

The semantic level in Sibawayh's book

Dr. Mai Fadel Jassem Al-Jubouri
College of Arabic Language - Umm Al-Qura University - Makkah Al-Mukarramah
Email: may_fadhal@hotmail.com

Abstract

This research is concerned with referring to the places where Sibawayh takes care of the significance. We have tried to root the linguistic ideas in the semantic side, that is, that have emerged recently, and we found most of them covered in the book. The aim of our research is to introduce the recipient to Sibawayh's study of the Arabic language, extracting it from many of its treasures, and paying attention to its subtle phenomena in his own way in topics known to modern semantics in our time.

Keywords: Sibawayh's book, semantic level, modern semantics.

المقدمة

في العصر الحديث تناول الدرس اللغوي اللغة على أربعة مستويات: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي أي بنية الكلمة، والمستوى التركيبي النحوي والمستوى الدلالي وهو المعني بالمعنى. ولطالما قيل إن علم الدلالة هو قمة الدراسات اللغوية. ويوم ننظر في الكتاب الأهم في الدراسات اللغوية العربية: كتاب سيبويه نجد اهتماما قلّ نظيره في تتبع العربية الفصحى والتأمل العميق فيها وملاحظة القاعدة على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي وهذا لا يخفى على ناظر في الكتاب. غير أن المستوى الدلالي في دراسته للفصحى ليس ظاهرا كل الظهور في كتابه.

يهتم هذا البحث بالإشارة إلى مواضع اعتناء سيبويه بالدلالة. وقد حاولنا تأصيل الأفكار اللغوية في الجانب الدلالي أي التي ظهرت حديثا فوجدنا أغلبها مطروقا في الكتاب. وهدف بحثنا هذا هو تعريف المتلقي بدراسة سيبويه للغة العربية واستخراجه كثيرا من كنوزها وانتباهه إلى ظواهرها الدقيقة بطريقته في موضوعات عرفها علم الدلالة الحديث في عصرنا. فقسمنا العمل بحثا عن الجوانب الدلالية في الكتاب كالآتي:

أولا الدلالة الصوتية:

١- الفونيم التركيبي والدلالة:

يقصد بالفونيمات التركيبية الأصوات التي نستعملها في اللغة وهي التي تتشارك في تركيب كلماتها وقد عرفها ماريو باي في كتابه (أسس علم اللغة) بقوله: "الفونيم التركيبي عبارة عن الوحدات الصوتية التي تكون جزءاً من أبسط صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق"[١] وسماه دانيال جونز الفونيم الأساس كما نقل لنا د. أحمد مختار عمر في (دراسة الصوت اللغوي) قال جونز: "حين يملك الفونيم أكثر من عضو فهناك واحد من الأصوات يبدو أكثر أهمية من الأخرى ربما لأنه أكثر شيوعا أو لأنه يستعمل في حالة الانفصال أو لأنه وسط بين الأعضاء المتطرفة هذا العضو يسمى العضو الأساس أو معيار الفونيم"[٢]. وحروف العربية وأصواتها الأصول هي فونيمات أساسية كما أنها تمثل الانعزال عن السياق بذكرها منفردة. وقد عدد سيبويه الأصوات التسعة والعشرين التي استعملتها العربية الفصحى، وذكر الحركات في مواضع مختلفة. وإشارة منه إلى أن الفونيم إذا تغير تتغير الدلالة لم يغفل سيبويه عن ذكر ألوفونات العربية وهي الأصوات الأخرى التي استعملت في اللهجات بديلة عن الأصوات الأصول في الفصحى ولكنها لم تغير

دلالات الكلمات عندما ظهرت فيها. وهذه الألوفونات[٣] أو تنوعات الأصوات تباينت فبعضها صوامت بديلة وبعضها مصوتات بديلة مثل تفخيم الألف والإمالة.

في النص الآتي لسيبويه نجد ما يعرف اليوم بالفونيمات التركيبية أو الحروف التسعة والعشرين للعربية وهي التي إذا تغيرت تتغير الدلالة إلا على سبيل الإبدال فهو لا يغير الدلالة بالطبع وقد جعل له بابا خاصا. قال سيبويه: "فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو"[٤].

بعد ذلك ذكر سيبويه الحروف الفروع وهي التي تدعى اليوم بالألوفونات ولا يؤدي استعمالها في الكلمة إلى تغيير الدلالة. قال: "وتكون خمسةً وثلاثين حرفا بحروفٍ هن فروعٌ وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي النون الخفيفة والهمزة التي بين بين والألف التي تمال إمالةً شديدة والشين التي كالجيم والصاد التي تكون كالزاي وألف التفخيم يعنى بلغة أهل الحجاز في قولهم الصلاة والزكاة والحياة وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنةٍ ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء والباء التي كالفاء وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون لا تتبين إلا بالمشافهة"[٥] وهذه الحروف الفروع لا تغير الدلالة بتغيرها عن الفونيم الأصلي الذي يفترض أنه كان في الكلمة قبل استعمالها. ولذلك أشار إليها سيبويه لأن المعتاد أن يغير تغير الفونيمات الدلالة. وقد جعل سيبويه لحروف البدل بابا خاصا قال في مقدمته "هذا باب حروف البدل في غير أن تدغم حرفا في حرف وترفع لسانك من موضع واحد"[٦] وفي الكتاب إشارات كثيرة إلى الإبدال الذي درج في العربية وهو تغير الفونيم المتوقع في كلمة أيضا بدون تغير الدلالة. ومن ذلك قوله "وكذلك تبدل الذال من مكان التاء أشبه الحروف بها لأنهما إذا كانتا في حرف واحد لزم أن لا يبينا إذ كانا يدغمان منفصلين فكرهوا هذا الإجحاف، وليكون الإدغام في حرفٍ مثله في الجهر، وذلك قولك مُذَّكِرٌ كقولك مُطَّلِعٌ ومن قال مُظَّعِنٌ قال مُذَّكِر، وقد سمعناهم يقولون ذلك والأخرى في القرآن في قوله {فهل مِن مُدَّكر} [٧] "[٨]

وذكر سيبويه الحركات القصيرة وهي من فونيمات العربية التركيبية أيضا، وذكر أنها من الحروف الألف والواو والياء وأنها أخواتها، في النص الآتي: "قال الراجز:

عَجِبْتَ مِن لَيْلاكَ وانتيابِهَا مِنْ حَيثُ زارتْني ولم أورا بِهَا

خفف ولم أورأ بها، فأبدلوا هذه الحروف التي منها الحركات لأنها أخوات وهي أمهات البدل والزوائد، وليس حرف يخلو منها أو من بعضها وبعضها حركاتها. وليس حرفٌ أقرب إلى الهمزة من الألف وهي أحدى الثلاث، والواو والياء شبيهة بها أيضاً مع شركتهما أقرب الحروف منها"[٩] والفتحة والضمة والكسرة أو الحركات القصيرة بالتعبير الحديث وما أخذت منه وهي الألف والياء والواو المديتان أو الحركات الطويلة هي فونيمات تركيبية يؤدي تغييرها إلى تغيير الدلالة. إلا إذا كان التغيير على سبيل الإبدال غير المؤثر على الدلالة كما رأينا في المثل الذي ضربه سيبويه. وقد نقل عن الخليل قولا في الحركات يرينا سبب فصلها عن الحروف فهن زوائد، قال: "وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو"[١٠]

لعل من أهم ما دار عليه كتاب سيبويه هو ارتباط الدلالة بالحركات والحروف النائبة عنها في مجال الإعراب وقد تحدث في مقدمة كتابه عن هذا الموضوع وقال في "باب مجارى أواخر الكلم من العربية" : "وهي تجري على ثماني مجارٍ على النصب والجرَّ والرفع والجزم والفتح والضمّ والكسر والوقف. وهذه المجاري الثمانيةُ يَجمعهنّ في اللفظ أربعةُ أضرب فالنصبُ والفتح في اللفظ ضربٌ واحد والجرّ والكسر فيه ضرب واحد وكذلك الرفع والضمّ والجزم والوقف. وإنّما ذكرتُ لك ثمانية مجار لأفُرقَ بين ما يدخله ضربٌ من هذه الأربعة لما يُحِدثُ فيه العاملُ – وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه – وبين ما يُبْنَى عليه الحرفُ بناءً لا يزول عنه"[١١]. في هذا النص ربط سيبويه بين الحركات على حروف الإعراب وإشارتها إلى الإعراب وهو كما نعلم مرتبط بالمعنى أو الدلالة التي يريدها المتكلم. كما أشار إلى ظهور الحركات بغير دلالة على الإعراب في الكلمات المبنية. وفي نصوص أخرى نبه إلى معاني الإعراب وسنأخذ النصب مثلا حيث أشار إلى أنه معنى في النص الآتي: "وإذا قلتَ مررتُ بزيد وعمراً مررتُ به نصبتَ وكان الوجهَ لأنّك بدأت بالفعل ولم تَبتدئ اسما تَبنيه عليه ولكنّك قلت فعلتُ ثم بنيتَ عليه المفعول وإن كان الفعلُ لا يَصِلُ إليه إلاَّ بحرف الإضافة فكأنّك قلت مررتُ زيدا ولولا أنّه كذلك ما كان وجهُ الكلام زيدا مررتُ به وقمتُ وعمراً مررتُ به ونحوُ ذلك قولك خَشّنْتُ بصدره، فالصدرُ في موضع نصبٍ وقد عَمِلَت الباءُ. ومثله ﴿قلْ كَفَى بِالله شَهِيداً بَيْنِي وبَيْنَكُمْ﴾ [١٢]إنّما هي كفى اللهُ، ولكنَّك لمّا أَدخلتَ الباءَ عَمِلَتْ. والموضع موضعُ نصب وفى معنى النصب وهذا قولُ الخليل رحمه الله"[١٣]. ولا شك أن المعنى المشار إليه في كلام سيبويه عن شيخه هو معنى المفعولية الذي عناه النصب وهو مرتبط بالحركة التي أشارت إليه أي الفتحة أو ما ينوب عنها، فقد

قال سيبويه رابطا النصب بالمفعولية في أحد أمثلته: "هذا ما يَجرى منه مجرورا كما يجرى منصوبا وذلك قولك: عجبتُ من دَفْعِ الناسِ بعضِهم ببعضٍ، إذا جعلت الناسَ مفعولِينَ كان بمنزلة قولك: عَجِبْتُ من إذهابِ الناسِ بعضِهم بعضاً، لأنَّك إذا قلت: أَفعلتُ، استغنيتَ عن الباء وإذا قلت فَعلتُ احتجتَ إليها"(١٤) وهذا ما أردنا توضيحه في موضوع ارتباط الدلالة بالفونيم التركيبي واتخذنا له مثلا حركة النصب الفتحة كما يلاحظ في هذا النص. وفي نص آخر يشير إلى معنى النصب وفيه أيضا نلاحظ تغير المعنى عند تغير الحركة. قال: "واعلم أن معنى ما انتصب بعد أو على (إلا أن) كما كان معنى ما انتصب بعد الفاء على غير معنى التمثيل تقول (لألزمنَّك أو تقضيَني) و (لأضربنَّك أو تسبقَني) فالمعنى لألزمنَّك إلا أن تقضيَني، ولأضربنَّك إلا أن تسبقَني، هذا معنى النصب. قال امرؤ القيس:

(فقلتُ له لا تَبْكِ عينُك إنَّما نُحاوِلُ مُلْكاً أو نَموتَ فنُعْذَرَا)

والقوافي منصوبةٌ فالتمثيل على ما ذكرت لك والمعنى على (إلا أن نموتَ فنعذرا، وإلا أن تعطيَني) كما كان تمثيل الفاء على ما ذكرت لك وفيه المعاني التي فصّلت لك. ولو رفعت لكان عربياً جائزاً على وجهين: على أن تشرك بين الأول والآخر، وعلى أن يكون مبتدأ مقطوعاً من الأول، يعني: أو نحن ممن يموت. وقال جلّ وعزّ {ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون} (١٥) إن شئت كان على الإشراك، وإن شئت كان على أو هم يسلمون"(١٦) فهذان الوجهان المشار إليهما في نص سيبويه بمعاني تختلف عن معنى النصب عند الرفع أي قوله: على الإشراك، وتوضيحه احتمال إضمار مبتدأ مقطوع، يدلان على تغير الدلالة بتغير الفونيم التركيبي من الفتح أو ما ينوب عنه في النصب إلى الضم أو ما ينوب عنه في الرفع.

ب- الفونيم فوق التركيبي والدلالة:

يقصد بالفونيم فوق التركيبي أو الثانوي(١٧) النبر والتنغيم والمفصل وطول الصوت وما إلى ذلك من أحوال الصوت التي تغير الدلالة بدون تغيير في فونيمات الكلمات. والتنغيم مثلا موجود في العربية فنحن نستطيع أن نحول جملة مثل: (جاء محمد) من الإخبار إلى الاستفهام بمجرد استعمال التنغيم الخاص بالاستفهام مع الكلمتين أنفسهما. وكذلك نستطيع تحويلها إلى معنى التعجب باستعمال التنغيم الخاص بالتعجب. وهذا كله من استعمال الفونيم فوق التركيبي لتغيير الدلالة. كما أن النبر في العربية موجود لكنه ليس من الفونيمات فوق التركيبية إذ ليس له دور في تغيير الدلالة. ولا نجد إشارات كثيرة في كتاب سيبويه

تدل على اهتمامه بالفونيم فوق التركيبي. ولعل من أسباب ذلك اعتماد العربية على الفهم من خلال السياق واستعمال الحركات الإعرابية للدلالة على المعنى. والظاهر أن سيبويه خصص بحثه بما يلفظ من كلام العربية. ولكننا لا نعدم ذكرا لما يمثل استعمال الفونيمات فوق التركيبية مع القول لإيصال الدلالة. في النص الآتي نلاحظ اهتمام العرب وإشارة سيبويه إلى الربط بين الدلالة واستعمال "الطول في الأصوات بمعنى: الوقت الذي يستغرقه نطقها للتفريق بين الأحداث اللغوية"[١٨] والطول في هذه الحالة فونيم فوق تركيبي، أي يستعمل للتفريق بين الدلالات. قال في باب وجوه القوافي في الإنشاد: "أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون، لأنهم أرادوا مد الصوت، وذلك قولهم – وهو لامرئ القيس: قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلي

وقال في النصب ليزيد بن الطثرية:

(فبتنا تحيد الوحش عنا كأننا... قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا)

وقال في الرفع – للأعشى: هريرة ودعها وإن لام لائمو

..... وإنما ألحقوا هذه المَدّة في حروف الروي لأن الشعر وضع للغناء والترنم، فألحقوا كل حرف الذي حركته منه. فإذا أنشدوا ولم يترنموا فعلى ثلاثة أوجه: أما أهل الحجاز فيدعون هذه القوافي ما نوّن منها وما لم ينوّن على حالها في الترنم، ليفرقوا بينه وبين الكلام الذي لم يوضع للغناء. وأما ناسٌ كثير من بني تميم فإنهم يبدلون مكان المَدّة النون... وأما الثالث فأن يجروا القوافي مجراها لو كانت في الكلام ولم تكن قوافي شعرٍ"[١٩] ففي هذه الأمثلة مد الصوت بالكسرة في آخر منزلِ فصارت ياء، ومدت أو أطيلت فتحة المفعول مصرع فصارت ألفا، وأطيل صوت الضمة في لائمُ فصارت واوا للتفريق بين الترنم وما وضع من الشعر للغناء والكلام الذي لم يوضع للغناء كما أشار سيبويه في النص فهو من استعمال الفونيم فوق التركيبي (الطول) للتفريق الدلالي.

ثانيا الدلالة الصرفية:

تتكون كل لغة من اللغات من عدد محدود من الوحدات الصوتية. والبنية اللغوية لا تتكون من الوحدات الصوتية مفردة بل تتألف اللغة من الوحدات الصوتية مركبة في أبنية مختلفة. وتتكون الكلمة من تتابع الفونيمات أو الوحدات الصوتية. والمصطلح الأساس في التحليل الصرفي الحديث هو مصطلح المورفيم أي الوحدة الصرفية. وقد عرف بلومفيلد المورفيم بأنه "صيغة لغوية لا تحمل أي شبه جزئي في

التتابع الصوتي والمحتوى الدلالي مع أي صيغة أخرى"[٢٠]. ولتقريب هذه الفكرة فإن "الباحث في تقسيمه للسلسلة الكلامية يقسم الكلمة إلى أجزائها الحاملة للمعنى أو الوظيفة النحوية. وهذه الأجزاء الحاملة للمعنى لا يمكن تقسيمها إلى أجزاء أصغر منها ذات معنى أو وظيفة نحوية"[٢١]. والأجزاء الحاملة للمعنى أو الوظيفة النحوية هي المورفيمات[٢٢]. وهي على نوعين:

١- المورفيم المتصل[٢٣]:

يتميز المورفيم المتصل بأنه لا يمكن إيجاده حرا أو منفصلا في الكلام وبأنه يحتاج إلى أن يكون متصلا بغيره من المورفيمات. ومن ذلك في العربية أل التعريف. إن المحتوى الدلالي لها هو التعريف ولذلك سميت به، وهي مورفيم بنفسها أي كلمة وليست جزءا من الكلمة التي تظهر فيها. وقد ذكرها سيبويه على هذا الأساس نقلا عن شيخه، قال "وقال الخليل: ومما يدل على أن أل مفصولة من الرجل ولم يبن عليها، وأن الألف واللام فيها بمنزلة (قد) قول الشاعر:

(دَعْ ذا وعَجِّلْ ذا وألِحقْنا بِذَلْ)

(بالشَّحْم إنّا قد مَلِلْناه بَجَلْ)

قال: هي ههنا كقول الرجل وهو يتذكر قدي فيقول قد فعل ولا يفعل مثل هذا علمناه بشيءٍ مما كان من الحروف الموصولة ويقول الرجل ألي ثم يتذكر فقد سمعناهم يقولون ذلك ولولا أن الألف واللام بمنزلة قد وسوف لكانتا بناءً بني عليه الاسم لا يفارقه ولكنهما جميعاً بمنزلة هل وقد وسوف تدخلان للتعريف وتخرجان"[٢٤].

من هذا النص نرى إدراك الخليل وسيبويه لكون أل كلمة بدليل تشبيهها بقد وسوف وهل، كما أنهما ربطاها بمحتواها الدلالي وهو التعريف وهو إدراك لارتباط المورفيم المتصل بالدلالة أو الوظيفة النحوية كما أدرك النحاة في واو الجماعة محتواها الدلالي وهو الجمع للذكور ووظيفتها النحوية المرتبطة بالرفع. إن الإشارة في النص السابق من كتاب سيبويه إلى أن أل مفصولة عن الكلمة لا يراد بها أنها مورفيم منفصل أو حر فهي لا تأتي إلا مرتبطة بمورفيم آخر، أو بحسب تعبير النص تدخل على الاسم لكي تضفي دلالة التعريف عليه. كما أنه من السهولة ملاحظة ارتباط بدائل الحركات القصيرة الإعرابية – وهي مورفيمات متصلة – بالمعنى عند سيبويه من خلال شرحه للأخطاء اللغوية المرتبطة بها. ومن ذلك قوله: "واعلم أن ناسا من العرب يغلطون فيقولون: إنهم أجمعون ذاهبون، وإنك وزيد ذاهبان. وذاك أن معناه معنى الابتداء

فيرى أنه قال: هم"[٢٥] ففي هذا النص ربط بين المعنى: الابتداء وواو أجمعون وكان يجب أن تقال أجمعين لمتابعة المنصوب بإنَّ.

ب- المورفيم الحر[٢٦]:

يتميز المورفيم الحر أو المنفصل بأنه لا يحتاج إلى أن يتصل بغيره ويمكن إيجاده حرا أو منفصلا عن غيره في الكلام مع أنه قد يأتي متصلا بغيره. ومن المدهش أن نرى أمثلة سيبويه في أول كتابه عندما عدد أنواع الكلمات تمثل مورفيمات منفصلة لكل منها فقد قال في (باب علْم ما الكَلِمُ من العربية): "فالكَلِم اسمٌ وفِعْلٌ وحَرْفٌ جاء لمعنًى ليس باسم ولا فعل فالاسمُ رجلٌ وفرسٌ وحائط وأما الفعل فأمثلة أُخذتْ من لفظ أحداث الأسماء وبُنيتْ لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع. فأما بناء ما مضى فذَهَبَ وسَمِع ومكُث وحُمِدَ وأما بناء ما لم ينقطع فإنّه قولك آمِراً اذهَب واقتُلْ واضرِبْ، ومخبراً يَقْتُلُ ويَذهَبُ ويَضرِبُ ويُقْتَلُ ويُضرَبُ وكذلك بناء ما لم يَنقطع وهو كائن إذا أخبرتَ"[٢٧] من أمثلة سيبويه في هذا النص للأسماء والأفعال والحروف نلاحظ انه لم يأت بها متصلة بغيرها فلم يأت بها معرفة بأل ولا مجموعة أو مثناة ولا مسندة لضمير متصل مما يدل على إدراك واضح ودقيق لمفهوم الكلمة أو المورفيم الحر.

ج- دلالة الصيغة:

عند الحديث عن دلالة الصيغة عند سيبويه نجد أنه قد اكتشف أن الصيغ الصرفية أنفسها ذوات معان ودلالات في أحوال كثيرة. ومن ذلك استنتاجه أن صيغة فُعال مرتبطة بكلمات فيها معنى الداء "وأما السُكات فهو داءٌ كما قالوا العُطاس، فهذه الأشياء لا تكون حتى تريد الداء، جعل كالنُحاز والسُهام وهما داءان وأشباههما"[٢٨]. وكذلك ربط بين صيغة (فِعالة) ومعنى الوِلاية قال: "وأما الوِكالة والوِصاية والِجراية ونحوهن فإنما شبهن بالولاية لأن معناهن القيام بالشيء عليه الخِلافة والإمارة والنِكابة والعِرافة وإنما أردت أن تخبر بالولاية ومثل ذلك الإيالة والعِياسة والسِياسة... وقالوا التِجارة والخِياطة والقِصابة وإنما أرادوا أن يخبروا بالصنعة التي يليها فصار بمنزلة الوكالة وكذلك السِعاية إنما أخبر بولايته كأنه جعله الأمر الذي يقوم به"[٢٩]. كما أن سيبويه لاحظ أن الفعل اللازم يكون مصدره على فُعُول فربط زنة هذا المصدر بمعنى عدم تعدي الفعل المأخوذ منه قال: "وأما كل عملٍ لم يتعد إلى منصوب فإنه يكون فعله على ما ذكرنا في

الذي يتعدى ويكون الاسم فاعلاً والمصدر يكون فُعُولاً وذلك نحو قعد قُعُوداً وهو قاعد وجلس جُلُوساً وهو جالسٌ وسكت سُكُوتاً وهو ساكتٌ وثبت ثبُوتاً وهو ثابتٌ وذهب ذُهُوبا وهو ذاهبٌ"[٣٠]

ثالثا: الدلالة النحوية:

هنا سنتطرق إلى الدلالة النحوية المتعلقة بالبنية العميقة كما نجد في المثال الآتي من كتاب سيبويه في (باب ما يَنتصب من المصادر لأنّه حالٌ صار فيه المذكور) قال: "فانتَصب المصدرُ لأنَّه حالٌ مَصِيرٌ فيه ومن ذلك قولك: أَمّا عِلْماً فلا عِلْمَ له، وأَمّا عِلْماً فلا عِلْم عنده، وأَمّا عِلْماً فلا عِلْمَ، وتضمِرُ (له) لأنَّك إنّما تَعنى رجلا"[٣١]. دل المصدر المستعمل في الجمل على حال فنصب. فهي دلالة نحوية نلاحظ فيها الإعراب الذي استحقه المصدر بناء على معناه. وهذا متعلق في علم اللغة الحديث بموضوع البنية العميقة الذي سنتناوله في الجزئية الآتية من البحث.

البنية السطحية والبنية العميقة:

الفكرة الأساس في النحو التوليدي التحويلي أو الوصف الدقيق للغة الذي نادى به نعوم جومسكي كما نقل لنا الدكتور محمود فهمي حجازي في كتابه مدخل إلى علم اللغة[٣٢] إنما هي تحديد الإمكانات التعبيرية الكامنة في هذه اللغة والتي ينتقي منها المستخدم. ومن هنا تتجاوز فكرة النحو التوليدي التحويلي مجرد وصف الأداء الفردي إلى محاولة تحديد مجموعة الإمكانات التعبيرية المدروسة أو ما يسمى بالكفاية اللغوية. هذه الإمكانات كامنة عند مستخدم اللغة حتى انه يستطيع بالمختزن لديه منها أن يقدم جملا وتعبيرات لم يسبق له أن سمعها أو قرأها. وهذا هو معنى كون هذا اتجاها توليديا أي انه يبحث إمكانات توليد الجمل الجديدة اعتمادا على إمكانات اللغة.

ولو نظرنا في كتاب سيبويه لوجدناه مليئا بما يمثل هذا الجانب وهو جانب التوليد. أي انه لم يعتمد موضوع السماع فقط إنما اعتمد القياس لتوليد كلمات وجمل للتمثيل ومن ذلك قوله: "وأمّا ما يجوز فيه الفعلُ مضمرا ومظهرا مقدّما ومؤخَّرا ولا يستقيم أن يُبْتَدَأ بعده الأسماء فهَلَّا ولوْلا ولَوْمَا وأَلا لو قلت هَلَّا زيداً ضربتَ ولولا زيداً ضربتَ وألا زيداً قتلتَ جاز، ولو قلتَ ألا زيدا وهلّا زيدا على إضمار الفعل ولا تذكُره جاز، وإنّما جاز ذلك لأنَّ فيه معنى التحضيض والأمرِ فجاز فيه مما يجوز في ذلك ولو قلتَ سَوْفَ زيدا أضربُ لم يحسُنْ، أو قد زيدا لقيتُ لم يحسُنْ، لأنّها إنما وُضِعَتْ للأفعال إلّا أنّه جاز في تلك الأحرف التأْخيرُ

والإضمارُ لما ذكرت لك من التحضيض والأمر"[٣٣]. في النص تتكرر كلمة (لو قلت) فهي تجيز للمتلقي القياس على الأمثلة التي ولّدها بنفسه وتوليد جمل أخرى شبيهة بها. كما نلاحظ قضية تعرف الخطأ في قوله (لم يحسن) وهو من أسس نظرية جومسكي فمستعمل اللغة أو صاحبها يستشعر الخطأ إذا حدث في بعض تراكيبها. ونعطي مثالا آخر أكثر وضوحا من الأمثلة الكثيرة على توليد جمل لم يسمع بها سيبويه "وتقول: واقِنَّسرُوناهْ لأن هذا اسم مفرد وكذلك رجل سمى باثني عشر تقول واثنا عشراه، لأنه اسم مفرد بمنزلة قنسرين، وإذا ندبت رجلا يسمى ضربوا قلت واضربوه"[٣٤] يلاحظ انه يفترض تراكيب على أساس تسميات مفترضة أيضا لم ينقلها سماعا عن العرب.

منهج جومسكي تحويلي أيضا. والتحويل هنا وسيلة من وسائل التعرف على طبيعة العلاقات بين الكلمات. مثل التركيب المكون من اسم + ضمير مثل (كتابي وطني سفري) فهذه الأمثلة تعبر عن علاقات مختلفة وليس صحيحا أن نقول إنها علاقة تدل على الملكية. فالتفسير هو الحكم في فهم المعنى هنا. كلمة كتابي قد تعني الكتاب الذي الفته أو الذي املكه. وطني تعني الوطن الذي انتمي إليه. سفري تعني السفر الذي قمت به. الملاحظة العامة على هذه الأشياء أن العلاقة متفقة شكلا وهي علاقة بين اسم وضمير ولكنها مختلفة في دلالة هذه العلاقة. اختلاف المعنى على الرغم من التشابه سمي بالعلاقة الكامنة فتغير الدلالة يعني تغير العلاقة الكامنة. وأن نقول إن كلمة كتابي تتكون من اسم + ضمير فنحن نتحدث عن البنية السطحية وغموض دلالة البنية السطحية لا يفسر إلا على أساس تعدد الأبنية العميقة فكشف الغموض البنيوي يتم بمعرفة البنية العميقة وليس الاكتفاء بالبنية السطحية. البنية السطحية هي البنية المنطوقة والمسموعة والمكتوبة في النحو العربي. وبإمكان الناظر فيه أن يرى أمثلة لها في الإعراب بدخول حرف الزيادة الباء كما جاء في مثال سابق قولك خَشّنْتُ بصدره، فالصدرُ في موضع نصبٍ وقد عَمِلَت الباءُ. ومثله {قلْ كَفَى بِالله شَهِيداً بَيْنِي وبَيْنَكُمْ} [٣٥]إنّما هي كفى اللهُ، ولكنَّك لمّا أَدخلتَ الباءَ عَمِلَتْ"[٣٦] فعمل الباء الزائدة الجر في (صدْر) التي تستحق النصب لو حذفت الباء الزائدة وفي لفظ الجلالة الذي يستحق الرفع كما أشار سيبويه عند رفعها وموضوع الإعراب فيهما يدخل في مناقشة البنية السطحية للجملتين. وفي الكتاب كذلك اهتم سيبويه بالبنية العميقة وذلك لاهتمامه بالمعنى ونجد ذلك في موضوعات مختلفة مثل الإضمار والحذف والتحذير... الخ ومن أمثلة ارتباط الإضمار بالبنية العميقة لارتباطه بالمعنى الذي يدركه المتلقي ما قاله تعليقا على هذين البيتين

(بني أَسَدٍ هل تَعْلَمُون بَلاءَنا إذا كان يَوْماً ذا كَواكب أَشْنَعا)

(إذا كانت الحُوُّ الطوالُ كأَنما كساها السلاحُ الأرجوانَ المضلَّعا)

أَضْمَرَ لعلم المخاطَبِ بما يَعْنى وهو اليوم"[٣٧]. والتقدير إذا كان اليومُ يوما ذا كواكب. وفي تعليقه إدراك لدور المتلقي في فهم البنية العميقة للجملة وتجاوز غموض الدلالة في البنية السطحية على هذا الأساس. ولقد نتج عن اهتمام سيبويه وشيخه الخليل بالبنية العميقة ظهور التقدير والتأويل والأوجه الإعرابية المتعددة تبعا للمعنى وغير ذلك. فمن التأويل قوله "الصفة تَجرى في معنى يَفْعَلُ يعني هذا رَجلٌ ضاربٌ زيداً"[٣٨] والتقدير هذا رجلٌ يضربُ زيدا. ومن ذكر الأوجه الإعرابية لارتباطها بالمعنى أو البنية العميقة للكلام قوله: "وتقول هذا من أعرف منطلقٌ فتجعل أعرف صفة وتقول هذا من أعرف منطلقا تجعل أعرف صلة وقد يجوز منطلقٌ على قولك هذا عبد الله منطلقٌ"[٣٩] قال السيرافي في شرح هذا النص "وتقول هذا من اعرف منطلقٌ فتجعل اعرف صفة. يصير كأنك قلت هذا من معروفٌ منطلقٌ، بمنزلة: رجلٌ معروفٌ"[٤٠] فهذه الأوجه الإعرابية ارتبطت بالمعنى المراد من الجملة والذي تختص به البنية العميقة لها. وهكذا تدور كثير من موضوعات الكتاب وأمثلته بما يتعلق بالنظر في البنية العميقة أو مراد المتكلم من كلمته.

رابعا معاني المفردات:

١- المعنى المعجمي:

اهتم سيبويه بذكر المعنى المعجمي لكثير من الكلمات وبيّن لقارئ كتابه مجموعة من المعاني التي لم نجدها في غير كتابه ومن ذكرها فقد نقلها عنه. ومن ذلك قوله "وقالوا ضربها الفحل ضِراباً كالنِكاح، والقياس ضرْبا ولا يقولونه، كما لا يقولون نكْحاً وهو القياس، وقالوا دفعها دفعاً كالقرع وذَقَطها ذَقْطاً وهو النكاح ونحوه من باب المباضعة"[٤١]. نقل ابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ عن سيبويه في المحكم والمحيط الأعظم "ذقط (القاف والطاء والذال) ذَقَط الطائر يذقِط ذقطاً: سفد. وخص ثعلب به الذباب، وقال: هو إذا نكح، ولم أر أحدا استعمل النكاح في غير نوع الإنسان إلا ثعلباً هاهنا. وقال سيبويه: ذقطها ذقطاً، وهو النكاح. فلا أدري ما عنى من الأنواع، لأنه لم يخص منها شيئا"[٤٢]. ونلاحظ أنه أشار في نقله إلى سيبويه لأنه أول من ذكر معنى الكلمة فلم تذكر في العين. وعن ابن سيده في المحكم نقل ابن منظور في لسان العرب والزبيدي في تاج العروس النص نفسه. كما قال الصاغاني في العباب الزاخر: قفط "ويقال: قفط الطائرُ أثناء[٤٣] يقفطها ويقفطُها قفطاً: أي سفدها. وقال أبو زيد: يقال: ذقط الطائر: فأما القفط فإنما يكون لذوات الظلف"[٤٤]. والمعلومات عن القفط موجودة في صحاح الجوهري: قفط[٤٥] ، وقد بحثت عن هذا القول

في (نوادر اللغة) لأبي زيد الأنصاري فلم أجده يفسر ذقط أو قفط. وأبو زيد ممن أخذ عنهم سيبويه في كتابه. ولعل الصاغاني وجد كلمة ذقط مشروحة في أحد كتب أبي زيد الأخرى.

ب- التعبير:

"التعبيرات من الأقوال التي لا يكشف معناها بمجرد تفسير كلماتها ولا يمكن ترجمتها حرفيا"[٤٦]. ومن ذلك جاء في كتاب سيبويه "تقول إنّه لَصُلبُ القَناةِ وإنّه لمِنْ شجرةٍ صالحةٍ ولكنه على السعة"[٤٧] فتعبير انه لمن شجرة صالحة يدل على أنه من أصل طيب، ولكن معرفة معنى شجرة ومعنى صالحة لا يدل على المراد منه. فهي كناية عن هذا المعنى. و نقرأ في لسان العرب: قنا[٤٨] نصا منقولا عن تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ت ٣٧٠ هـ في المادة نفسها[٤٩] "وقَناةُ الظهر التي تنتظم الفَقارَ. أَبو بكر: في قولهم فلان صُلْبُ القَناةِ معناه صُلْبُ القامةِ والقَناةُ عند العرب القامةُ). أراد أبو منصور الأزهري أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري ت ٣٢٨ هـ الذي قال في كتابه الزاهر "وقولهم فلانٌ صُلْبُ القناة قال أبو بكر معناه صلب القامة والقناة عند العرب القامة. قال امرؤ القيس

(وبيتِ عذارى يومَ دَجْنٍ دخلتُه يُطِفْنَ بجمّاءِ المرافقِ مِكْسالِ)

(قليلةِ جَرْسِ الليلِ إلاّ وساوساً وتَبْسِمُ عن عَذْبِ المذاقةِ سلسالِ)

(سِباطِ البنانِ والعرانين والقنا لِطافِ الخصورِ في تمامٍ وإكمالِ)

أراد بالقنا القامات"[٥٠]. وقد عنى الأزهري بأبي بكر في النص السابق نفسه. وأخطأ الزبيدي فنقل النص ونسبه لابن دريد لأن كنيته أبو بكر أيضا وذلك حين قال في تاج العروس: قنا "وفلانٌ صُلْبُ القَناةِ: أَي القامَةِ ؛ عن ابنِ دُرَيْدٍ؛ وأَنْشَدَ:

سِباطُ البنانِ والعَرانِينِ والقَنا لِطافُ الخُصورِ في تمامٍ وإكْمالِ

أَرادَ بالقَنا : القَاماتِ"[٥١]. قد يوحي نص اللسان والزاهر أن تعبير صلب القناة ليس فيه كناية والواقع انه كناية. وقد أصاب سيبويه عندما قال على السعة أي التوسع في الكلام وقصد معاني أخرى بتلك الكلمات. وقد جاء في إحدى قصائد جميل بثينة وفسره المرزوقي في شرح حماسة أبي تمام ومن شرحه يتضح انه يستعمل للكناية عند العرب كما جاء في النص: "وقال جميل:

تفرق أهلانا بثين فمنهم فريق أقام واستقل فريق

فلو كنت خواراً لقد باخ ميسمي ولكنني صلب القناة عتيق

كأن لم نحارب يا بثين لو أنها تكشف غماها وأنت صديق

قوله أهلانا أراد شعبيهما. وقال الخليل: أهل الرجل: أخص الناس به. وأهل البيت: سكانه. وأهل الإسلام: من يدين به. وبثين: نداء مفرد مرخم. وقوله فمنهم فريق أقام، تفصيل لما أجمله في تفرق. وإنما افترقوا حتى ارتحل قوم وأقام قوم للخلاف الواقع كان بينهما. وقوله فلو كنت خواراً، تنبيه على كراهته لما حدث، وإظهار أن ميله مع أهل بثينة، فقال: لو كنت ضعيف المسكة منحل العقدة، لكان ميسمي قد بخ، أي زالت حرارته، وسكنت حميته، بما أقاسيه وأشاهده حالاً بعد حال، من عوارض الدهر ونوائب الزمان، ولكنني عتيق النبع، صليب القناة. وهذا مثل ضربه لإبائه، وبقائه على طريقة واحدة في العهد والوفاء. ثم اعتذر بعد ذلك فقال: كأن لم نحارب يا بثين، يريد أن جميع ما يجرى عليه يخف ويهون إذا بقيت له على ما فارقها عليه، وتعاقدا له"[٥٢] فمن هذا يتبين أن صلب القناة تعبير أريد به معنى غير المعنى الحرفي كما أشار سيبويه بقوله على السعة.

ج- التركيب الموحد:

وهو كلمتان اتصلتا في كلمة لم تعد تعني ما يفهم من فهم معاني المفردتين المتصلتين ويمثل له علم اللغة الحديث بكلمة مثل[٥٣] Pineapple. في كتاب سيبويه نجد هذه الفكرة موجودة ومعروفة في باب (هذا باب الشيئين اللذين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا بمنزلة اسم واحد كعيضموزٍ وعنتريس) "وذلك نحو حضرموت وبعلبك ومن العرب من يضيف بعل إلى بكٍ، كما اختلفوا في رام هرمز فجعله بعضهم اسماً واحداً وأضاف بعضهم رام إلى هرمز، وكذلك مارسرجس، وقال بعضهم: (مارَ سَرْجِسُ لا قِتالاَ) وبعضهم يقول في بيت جرير:

(لقيتمْ بالجزيرة خَيْلَ قيْسٍ فقلتمْ مارَ سَرْجِسَ لا قِتَالاَ)

وأما معديكرب ففيه لغات منهم من يقول معديكربٍ فيضيف ومنهم من يقول معديكرب فيضيف ولا يصرف يجعل كرب اسماً مؤنثاً ومنهم من يقول معديكرب فيجعله اسماً واحداً. فقلت ليونس هلّا صرفوه إذ جعلوه اسماً واحداً وهو عربي فقال ليس شيءٌ يجتمع من شيئين فيجعل اسماً سمي به واحدٌ إلا لم يصرف"([٥٤]) فهذه المسألة مشخصة لدى سيبويه منذ أكثر من ألف عام مثل كثير غيرها مما ظهر في علم اللغة الحديث في الغرب.

د- التعبير المركب:

التعبير المركب يتكون من كلمتين متصلتين و يتميز بأن الكلمة الرئيسة منهما ما تزال تنتمي إلى المجال الدلالي نفسه. ويمثل له علماء اللغة بكلمة Workfield فالجزء الأول من التعبير ما زال منتميا إلى مجال العمل. وفي لغتنا نجد التعبير المركب يتمثل في موضوع النحت. قال سيبويه في (باب الإضافة إلى الاسمين اللذين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا اسماً واحداً) : "ويجيء من الأشياء التي هي من شيئين جعلا اسماً واحداً ما لا يكون على مثاله الواحد.... فمن كلام العرب أن يجعلوا الشيء كالشيء إذا أشبهه في بعض المواضع وقالوا حضرميٌ كما قالوا عبدريٌ وفعلوا به ما فعلوا بالمضاف"[٥٥] نلاحظ في مثال سيبويه المنحوت عبدري انه منحوت من عبد الدار وما زالت كلمة عبد فيه منتمية إلى المعنى نفسه وهو العبودية.

خامسا الدلالة السياقية:

السياق في الدرس اللغوي الحديث هو "جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي ومنها شخصية المتكلم والسامع والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة بالسلوك اللغوي في الموقف الكلامي كحالة الجو أو الوضع السياسي أو مكان الكلام وكل ما يطرأ أثناء الكلام من انفعال أو استجابة وأثر النص الكلامي في المستمعين الخ"[٥٦]. والمعنى عند فيرث وهو صاحب المدرسة الاجتماعية الانكليزية في الدلالة "هو كلٌ مركبٌ من مجموعة من الوظائف اللغوية. وأهم عناصر هذا الكل هو: الوظيفة الصوتية والوظيفة المورفولوجية والنحوية والمعجمية والوظيفة الدلالية لسياق الحال"[٥٧]. وبهذا يحلل المعنى على مستويات مختلفة كما مر بنا في هذا البحث إلى الآن. وقد كان واضحا لدى سيبويه ما دعاه علم اللغة الحديث بالوظيفة الدلالية لسياق الحال، وفي النص الآتي نستطيع تعرف سياق الموقف الكلامي، وقد جعل سيبويه بابًا لفهم المتلقي المتكلم من دون لفظ لكل أجزاء الجملة وإضمار بعض منها. وقد بين سيبويه أن ذلك بسبب الموقف أو رؤية ما يفعل المتلقي وما يدور في أثناء الموقف الكلامي كوجود أسد أو جدار مائل أو صبي أو قدوم رجل من السفر وغير ذلك، وكله من سياق الحال. نقرأ في الكتاب ما يدل على أهمية الموقف الكلامي من قول سيبويه: (هذا باب ما جرى من الأمر والنهى على إضمار الفِعل المستعمَلِ إظهارُه إذا عَلِمْت أنّ الرجل مُسْتَغْن عن لَفْظِكَ بالفِعل) "وذلك قولك زيداً وعمراً ورأسَه. وذلك أنَّك رأيت رجلا يَضْرِبُ أو يَشْتِمُ أو يَقتل فاكتفيتَ بما هو فيه من عمله أن تَلفظَ له بعمله فقلت زيداً أي أَوْقِعْ عملَك بزيدٍ أو رأيتَ

رجلاً يقول أَضْرِبُ شَّر الناسِ فقلتَ زيداً، أو رأيتَ رجلا يحدّثُ حديثا فقَطَعَهُ فقلتَ حديثَك، أو قَدِمَ رجلٌ من سفرٍ فقلت حديثَك استغنيتَ عن الفعل بعلمه أنّه مستخبَرٌ فعلى هذا يجوز هذا وما أَشبهه. وأَمَّا النَّهْي فإنَّه التحذيرُ كقولك الأَسَدَ الأَسَدَ والجِدارَ الجِدارَ والصبيَّ الصبيَّ وإنّما نهيتَه أن يَقرَبَ الجِدارَ المخوفَ المائِلَ أو يَقربَ الأَسدَ أو يوطئ الصبيّ"[٥٨]

سادسا أنواع المعنى:

هنالك أنواع مختلفة من المعنى عند علماء اللغة المحدثين[٥٩] وقد وجدنا أغلبها مطروقًا في الكتاب ومن ذلك:

ا- المعنى الأساس:

هو المعنى الأولي المركزي أو المفهومي التصوري الإدراكي وهو العامل الرئيس للاتصال اللغوي والتفاهم ونقل الأفكار كما أنه المعنى المتصل بالوحدة المعجمية أي المفردة حينما ترد منفردة[٦٠]. وقد اهتم سيبويه بذكر معنى كثير من المفردات ومن ذلك ما ورد في قوله: "مثل هذا ما يكون معناه نحو معنى الفُضالة وذلك نحو القُلامة والقُوارة والقُراضة والنُفاية والحُسالة والكُساحة والجُرامة وهو ما يصرم من النخل والحُثالة فجاء هذا على بناءٍ واحد لما تقاربت معانيه"[٦١] فذكر معنى مفردة الجُرامة الأساس.

ب- المعنى الثانوي:

يمكن للفظ أن يشير إلى جانب معناه التصوري أو الأساس إلى معنى آخر ليس له صفة الثبوت والشمول فكلمة خروف مثلا تدل على الانقياد كمعنى ثانوي فضلا عن معناها الأساس. ومن ذلك ما ذكره سيبويه نقلا عن أبي الخطاب الأخفش الكبير في كلمة (سبحان) وكلمة (سلاما) قال: "وهذا ذكرُ معنى سُبحانَ وإنَّما ذُكر ليبيَّن لك وجهُ نصبِه وما أشبهه. زعم أبو الخَطّاب أنّ سُبْحانَ اللهِ كقولك بَرَاءَةَ اللهِ من السُّوءِ، كأَنَّه يقول أبرّئُ براءة الله من السُّوء. وزعم أنَّ مثلَه قولُ الشاعر وهو الأعشى

(أَقولُ لمَّا جاءني فَخْرُه سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفاخِرِ)

أي براءةً منه. وأمّا تركُ التنوين في سُبْحانَ فإنما تُرك صرفُهُ لأنه صار عندهم معرفةً وانتصابُه كانتصاب الحمدَ لله "[٦٢]. ثم قال: "وزعم أبو الخَطّاب أَنّ مثلَه قولُك للرجل سَلاماً تريد تسلُّماً منك كما قلت

براءَةً منك تريد لا أَلْتَبِسُ بشيء من أمرك. وزعم أنّ أبا ربيعةَ كان يقول إذا لقيتَ فلانا فُقْل له سَلاماً. فزعم أنه سأَله ففَسَّرَه له بمعنى براءةً منك. وزعم أنّ هذه الآية {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما} [٦٣] بمنزلة ذلك لأنّ الآية فيما زَعم مكّيّةٌ ولم يؤمَرِ المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين، ولكنّه على قولك براءة منكم وتسلُّما لا خيرَ بيننا وبينكم ولا شرَّ"[٦٤]. المعنى الثانوي لكلمة سلاما الذي نقله سيبويه استعمل في تفسير الأخفش للنصوص المذكورة من القرآن ومن كلام العرب. ولكنه لم يرد بالتأكيد أن المعنى المركزي أو الأساس لهذه الكلمة قد تغير وهو التحية. وتلك ملاحظة من سيبويه والأخفش للمعاني التي تسمى بظلال المعنى أو المعنى الهامشي الذي قد نجده مستعملا للكلمة.

ج- المعنى النفسي:

هو ما يتضمنه اللفظ من الدلالات التي نجدها عادة في كتابات الأدباء والمعاني الذاتية لديهم. ونجد جانبا من ذلك في متابعة سيبويه لمعاني المفردات كقوله: "وقالوا غضبان وغضبى وقالوا غضب يغضب غضبا جعلوه كعَطِشَ يعطَش عَطَشا وهو عَطشان لأن الغضب يكون في جوفه كما يكون العطش. وقالوا مَلآنة شبهوه بخَمصانة وندمانة. وقالوا ثَكِلَ يثْكَلُ ثَكَلا وهو ثَكلان وثكلى جعلوه كالعطش لأنه حرارة في الجوف. ومثله لهفان ولهفى ولهِفَ يلهَفُ لهَفا. وقالوا حزنان وحزنى لأنه غم في جوفه وهو كالثَكَل لأن الثكل من الحزن والندمان مثله وندمى"[٦٥] أشار سيبويه إلى أن الإنسان يحس الغم في جوفه للحزن والغضب وهي قضية نفسية يتضمنها معنى المفردة تصدر من الذات وليست واقعية فتدخل في نوع المعنى النفسي الذي أشار إليه المحدثون.

سابعا مشاكل التعدد في العلاقة بين اللفظ والمعنى:

ا- الترادف:

يعد المحدثون ومنهم أولمان الترادف من مشاكل التعدد بين اللفظ والمعنى لأنه يوقع المتكلم في حيرة وذلك لأن الترادف يعني تعدد الأسماء لشيء واحد أو كما قال الجرجاني "الترادف عبارة عن الاتحاد في المفهوم"[٦٦] فيحار المتكلم أي الكلمات يختار لتمثيل المعنى الذي يريده إذ تتعدد الألفاظ لمعنى واحد. وقد ذكر سيبويه معنى الترادف ومثل له بقوله: "واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ نحو ذهبَ وانطلقَ"[٦٧] فقد نظر

في مقدمة كتابه إلى علاقة اللفظ بالمعنى من هذا الباب، وبدأ بذكر الحالة الطبيعية العامة في اللغة وهي أن يكون لكل معنى لفظ حين قال: "اعلم أنّ من كلامِهم اختلاف اللفظينِ لاختلاف المعنيينِ"[٦٨]. إذ يختلف اللفظ عن غيره لاختلاف معنييهما. ولكنه لم يدخل في أسباب تعدد اللفظ للمعنى الواحد.

ب – المشترك اللفظي:

أشار سيبويه في مقدمة كتابه أيضا إلى مشكلة أخرى من مشاكل التعدد في علاقة اللفظ بالمعنى درست عند علماء اللغة المحدثين وهي وجود المشترك اللفظي في اللغة. ويشكل مشكلة لأن المتلقي قد يحتار في المعنى الذي يريده المتكلم من مفردة من مفرداته، فالمشترك اللفظي يتعدد المعنى فيه للفظ واحد. وقال سيبويه من غير إشارة إلى كونه مشكلة "واتفاق اللفظين والمعنى مختلِف قولك: وجَدتُ عليه من الْمَوْجِدة. ووجَدت إذا أردت وِجدان الضّالَّة. وأشباه هذا كثيرٌ"[٦٩] مثل بلفظ (وجدتُ) لمعنيين مختلفين، فنصه من أوائل الإشارات إلى المشترك اللفظي دونما استعمال لهذا المصطلح. ونصه لمعنى الترادف كذلك فهو سابق في تعريفه بالظاهرتين اللغويتين. ولا حاجة بنا إلى ذكر سبقه في كل ما مضى من أمثلة لكثير من لغويي العصر الحاضر في تعرف ما يعد في يومنا من إنجازات البحث اللغوي الدلالي.

فتحية لهذا العالم الفذ ولتلك العقلية التي سعت لخدمة اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحفاظ عليها بأسلوب لا يبارى وبأنفاس المسلم المخلص لها الحريص على تأملها ولمّ شتات قواعدها.

الهوامش والمصادر والمراجع

القرآن الكريم

(١) أسس علم اللغة . ماريو باي . ترجمة وتعليق د. احمد مختا عمر . عالم الكتب القاهرة ط٨ ١٩٩٨

(٢) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة.ط٢ سنة١٩٨١ص٢٠٠

(٣) ينظر أسس علم اللغة ص٤٨-٤٩

(٤) الكتاب لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر . تحقيق عبد السلام هرون . دار الجيل بيروت ١٩٩١ ٤٣٢/٤

(٥) الكتاب ٤/ ٤٣٣

(٦) نفسه ٢٣٨/٤

(٧) القمر ١٧

(٨) الكتاب ٤٦٩/٤
(٩) نفسه ٥٤٤/٤
(١٠) نفسه ٢٤٠/٤
(١١) نفسه ١٣/١
(١٢) الرعد ٤٣
(١٣) الكتاب ٩٢/١
(١٤) نفسه ١٥٤/١
(١٥) الفتح ١٦
(١٦) الكتاب ٢/ ٤٧
(١٧) ينظر أسس علم اللغة ٩٢
(١٨) دراسة الصوت اللغوي ٢٣٣
(١٩) الكتاب ٣٨٤/١
(٢٠) النظرية اللغوية في التراث العربي د. محمد عبد العزيز عبد الدايم دار السلام ٢٠٠٦ ص١٠٤
(٢١) مدخل الى علم اللغة . د. محمود فهمي حجازي .دار قباء القاهرة ٢٠٠٤ ص٩٠
(٢٢) ينظر أسس علم اللغة ٥٣
(٢٣) ينظر نفسه ٥٤
(٢٤) الكتاب ٣٢٥/٢
(٢٥) نفسه ١٥٥/٢
(٢٦) ينظر أسس علم اللغة ٥٤
(٢٧) الكتاب ١٢/١
(٢٨) نفسه ١٠/٤
(٢٩) نفسه ١١/٤
(٣٠) نفسه ٩/٤
(٣١) نفسه ٣٨٤/١
(٣٢) مدخل الى علم اللغة ١٢٣
(٣٣) الكتاب ٩٨/١
(٣٤) نفسه ٢٢٦/٢
(٣٥) الرعد ٤٣
(٣٦) الكتاب ٩٢/١
(٣٧) نفسه ٤٧/١
(٣٨) نفسه ٢١/١
(٣٩) نفسه ١٠٧/٢
(٤٠) شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي. تح: احمد مهدلي وعلي سيد دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٨ ٤٣٧/٢
(٤١) الكتاب ٩/٤

(٤٢) المحكم لابن سيده علي بن اسماعيل المرسي. تح عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية بيروت٢٠٠٠ (فقط)
(٤٣) كذا والصحيح أنشاه
(٤٤) العباب الزاخر واللباب الفاخر الحسن بن محمد الصاغاني. تح محمد حسن آل ياسين دار الرشيد بغداد ١٩٨٠
(٤٥) تاج اللغة وصحاح العربية. اسماعيل بن حماد الجوهري. دار العلم للملايين بيروت ط٤ ١٩٨٧ (قفط)
(٤٦) علم الدلالة . د. أحمد مختار عمر . دار العروبة الكويت ١٩٨٢ ص ٣١
(٤٧) الكتاب ٤١٠/١
(٤٨) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري دار صادر بيروت ط١ (قنا)
(٤٩) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تح محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث بيروت ٢٠٠١ (قنا)
(٥٠) الزاهر في معاني كلمات الناس. ابو بكر محمد بن القاسم الانباري تح. حاتم الضامن , دار الرسالة بيروت ١٩٩٢
(٥١) تاج العروس من جواهر القاموس لأبي الفيض محمد الحسيني المرتضى الزبيدي تح مجموعة من المحققين دار الهداية الكويت ١٩٦٥
(٥٢) شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد المرزوقي . تح أحمد أمين وعبد السلام هرون دار الجيل بيروت ١٩٩١
(٥٣) ينظر علم الدلالة ٣٣
(٥٤) الكتاب ١/ ٢٩٦
(٥٥) نفسه ٣٧٤/٣
(٥٦) ينظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي . محمود السعران دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٧ ص٥٢
(٥٧) نفسه ٥٣
(٥٨) الكتاب ٢٥٣/١
(٥٩) ينظر علم الدلالة ٣٦
(٦٠) نفسه
(٦١) الكتاب ١٣/٤
(٦٢) نفسه ٣٢٥/١
(٦٣) الفرقان ٦٣
(٦٤) الكتاب ١/ ٣٢٥
(٦٥) نفسه ٢٢/٤
(٦٦) التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني تح. ابراهيم الإبياري . دار الكتاب العربي بيروت ط١ ١٤٠٥هـ ص ٧٧
(٦٧) الكتاب ٢٤/١
(٦٨) نفسه
(٦٩) نفسه